الحلقة (٢٠)

➢ مسألة حجية القرآن:

أما قضية حجية القرآن فلا خلاف بين المسلمين جميعا على أن القرآن حجة شرعيةً يجب العمل بما ورد فيه، ولا يجوز العدول عنه لغيره من الأدلة إلا إذا لم يوقف فيه على حكم الحادثة التي يراد معرفة حكمها، **وكتاب الله قطعي الثبوت** بلا ريب لوصوله إلينا عن طريق التواتر المفيد للقطع، أما دلالة القرآن على الأحكام فقد تكون قطعية إذا كانت لا تحتمل، وقد تكون ظنية إذا كانت محتملة.

مثال قطعي الدلالة آيات قسمة الأنصبة والمواريث وآيات الحدود، فهذه لا خلاف في دلالتها، يعني إذا قال الله جلا وعلا {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا} فهذا لا يحتمل غير القطع المعروف، فدلالته على قطع الأيدي قطعية، وكذلك {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ} مائة هنا لا تحتمل تسعة وتسعين ولا تحتمل مائة وواحد، هذه دلالة قطعية لا تحتمل.

مثال ظني الدلالة قوله {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ} فلفظة القرء هنا لفظة مشتركة تطلق على الطهر وتطلق على الحيض، ولذا كانت دلالة الآية محل اجتهاد، هل نعتد بالأطهار أو بالحيض؟ هذا خلاف بين العلماء، لماذا؟ لأن الدلالة هنا ليست قطعية لأن اللفظة محتملة، تحتمل هذا وتحتمل هذا.

فهذا فقط مثال لأن الدلالة في كتاب الله تعالى ليست قطعية في كل الآيات، كما أنها ليست ظنية، بل بعض الآيات دلالته قطعية وبعضها دلالته ظنية.

طبعاً الكلام عن حجية القرآن المفترض أن لا يكون، لأنه لا خلاف في ذلك إلا لمن لم يدن بدين الإسلام، أما من يدين بدين الإسلام فلا شك أن القرآن عنده قطعيا لا ينبغي أن يختلف أو أن يدخل في قضية الكلام عن حجيته وعدم حجيته، فهو حجة بإجماع المسلمين بلا خلاف.

مسألة البسملة هل هي آية من كتاب الله أو لا؟

نحن أخذنا حجية القرآن كإجمال وقلنا لا خلاف ولا ينبغي أن يكون هناك كلام أصلاً حول حجية القرآن، لكن في آحاد القضايا مثل البسملة هل هي آية من كتاب الله أم ليست بآية هذا محل خلاف، وقبل أن نورد الخلاف نحرر محل الخلاف في المسألة في ثلاث نقاط:

النقطة الأولى: اتفق العلماء على أن البسملة بعض آية من سورة النمل، وذلك في قوله تعالى: {إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

النقطة الثانية: اتفق العلماء على أن البسملة ليست آية من أول سورة التوبة.

النقطة الثالثة: محل النزاع بين العلماء في المسألة هل البسملة آية من أول كل سورة من سور القرآن غير سورة التوبة أو لا؟؟

هذا هو تحرير محل النزاع في المسألة، فتحرير محل النزاع في المسألة بالمناسبة هو بيان الصورة المتفق عليها والمختلف فيها، فأنا الآن بينت صوراً متفق عليها وهي أن البسملة بعض آية من سورة النمل وهذا محل اتفاق وأنها ليست آية من سورة التوبة هذا باتفاق، محل النزاع إذاً هو هل البسملة آية من أول كل سورة من غير سورة التوبة أو لا؟ هذا محل الخلاف بين أهل العلم، وقد اختلفوا في ذلك على أقوال كثيرة أشهرها خمسة:

- القول الأول: في محل النزاع في المسألة أن البسملة آية في أول كل سورة من القرآن الكريم، وهذا القول **المشهور عن الإمام الشافعي** رحمه الله ورواية عن الإمام أحمد وحكي هذا القول عن جمع من الصحابة كعلي والعباس وابن الزبير وابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم وغيرهم.
- القول الثاني: أن البسملة ليست آية في أوائل السور، وإنما وضعت للفصل بين السور من باب التبرك فحسب، وهذا القول المشهور عن الإمام **مالك** رحمه الله وطائفة من الحنفية وبعض الحنابلة، وقد ذكر شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله أن هذا القول يحكى رواية عن أحمد ولا يصح عنه، شيخ الإسلام لا يقول بهذا الرأي وإنما ينفي عن أحمد القول به.
- القول الثالث: أن البسملة آية في سورة الفاتحة فقط، وهي للفصل بين بقية سور القرآن، هذا **قول الشافعي في بعض طرق مذهبه**، نقل عنه بعض أتباع مذهبه أنه يقول بهذا القول.
- القول الرابع: أن البسملة آية في أوائل سور القرآن على بعض القراءات، كقراءة ابن كثير وعاصم والكسائي وأبي جعفر، وليست بآية على قراءة حمزة، واختلف في الآخرين، وحسّن هذا القول الشيخ الشنقيطي رحمه الله، وخطأه شيخ الإسلام بن تيمية في مجموع الفتاوى في المجلد ٢٢ صفحة ٣٥٣، قال أصحاب هذا القول مستدلين له: (ولا غرابة في هذا، فإنه كقوله تعالى في سورة الحديد {فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}، فإن لفظة هو من القرآن على قراءة الجمهور ابن كثير وعاصم والكسائي وحمزة وأبي عمرو البصري، وليست من القرآن على قراءة نافع وابن عامر، لأنهما قرءا {فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}، وأصحاب هذا القول الرابع أرادوا الجمع بين الأقوال، فقالوا هي آية على قراءة مجموعة من القراء، وقالو ليست بآية على قراءة مجموعة من القراء.
- القول الخامس: أن البسملة آية مستقلة مفردة من القرآن في أول كل سورة لا منها، وأنا أود أن ينتبه لهذا الكلام لأنه دقيق للغاية، يعني لا من السورة فيقرأ بها في أول كل سورة وليست آية من أول أي سورة، بل هي مفردةٌ بذاتها بين السور، إذاً هي آية محلها في أول كل سورة، لكن ليست من السورة، بل هي مفردة بذاتها بين السور، وهذا القول هو القول الصحيح عن عبد الله بن المبارك لأنه نقل عنه أقوال أخرى، لكن هذا أصحها عنه إذاً هو قول عبد الله بن المبارك وهو رواية عن الإمام أحمد وقول داوود الظاهري وحكي عن ابن الحسن الكرخي من الحنفية واختاره شيخ الإسلام بن تيمية وقال: (وهو المنصوص الصحيح عن الإمام أحمد بن حنبل)، وذكر أبو بكر

الرازي يعني الحنفي أن هذا القول مقتضى مذهب أبي حنيفة عنده، وهو قول سائر من حقق في هذه المسألة، ونسبه شيخ الإسلام ابن تيمية في موضع من كلامه إلى جمهور العلماء، **وهو القول الراجح فيما يظهر** لقوة أدلته كما سيأتي، وقد جمع بين الأقوال وبه يزول التعارض بين الأدلة.

➢أدلة الأقوال:

أدلة القول الأول: وهو قول من يقول أن البسملة آية من أول كل سورة، وهو كما قلنا المشهور عن الإمام الشافعي رحمه الله، **من أدلة هذا القول** ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعرف فصل السورة حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم) وجه الدلالة: هو قوله (حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم) فقوله لفظة النزول يدل على أنها آية في كتاب الله فهي وحي منزل.

مناقشة هذا الدليل نقول أن في هذا الأثر عن ابن عباس إثباتاً على أن البسملة منزلة على النبي صلى الله عليه وسلم مما يدل على أنها آية من القرآن وهذا حق ولا نخالف فيه، وفي الأثر أنها نزلت للفصل بين السور، (كان لا يعرف فصل السور حتى تنزل) وهذا حق أيضاً ولا نخالف فيه، **ولكن ليس فيها إثبات أنها آية من السورة** وهذا هو محل النزاع، لعل هذا واضح، نحن هنا سنقول نعم نحن معكم أنها منزلة من الله وأنها منزلة للفصل بين السور كما هو في الأثر، لكن ليس فيها أنها داخلة في أول كل سورة، فلذلك لا يحصل به الاستدلال على ما أردتم من أنها آية من أول كل سورة، هذا هو محل النزاع الذي أتيتم بهذا الدليل لأجله، وهذا الدليل لا يسعفكم في الدلالة عليه.

الدليل الثاني لهم: قالوا أن البسملة كتبت بخط القرآن في أول كل سورة بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم استمر الصحابة رضوان الله عليهم على ذلك العمل، ولم ينكر أحد على من كتبها بخط القرآن في أول كل سورة، مع ورعهم وتحرزهم من أن يزيدوا في القرآن ما ليس منه كالنقط والتأشير، الصحابة رضوان الله عليم لم يكونوا يزيدون أي شيء على القرآن، حتى أنه لم ينقط إلا بعد فترة قيل أنه أول من نقطه أبو الأسود الدؤلي في زمن علي رضي الله عنه، قبل ذلك ما نقط وما عُشّر، لم يوضع عليه حركات ولا أي شيء حتى الحركات والنقط لم تكن موجودة، فكانوا يحترزون من أن يضيفوا له شيئا ليس منه، فهم قد كتبوا بخط القرآن بسم الله الرحمن الرحيم مما يدل على أن هذه الآية وهي (بسم الله الرحمن الرحيم) آية من أول كل سورة هذا دليلهم الثاني.

نناقش هذا الدليل فنقول أن كتابة البسملة بخط القرآن في المصحف يدل على أنها من القرآن ونحن معكم في ذلك وهذا حق، لكن كتابتها توجد مفردة مفصولة عما قبلها وعما بعدها فدل ذلك على أنها ليست من أي سورة من السورة، هذه أشهر أدلة القول الأول وأيضا قد لاحظتم أننا قد ناقشناها بما يظهر لنا والعلم عند الله أن هذه الأدلة لا تدل على ما أرادوا الدلالة عليه من أنها آية من أول كل سورة.

القول الثاني وهو أن البسملة ليست بآية من أي سورة من سور القرآن الكريم، بل أنزلت للفصل

والتبرك، استدلوا على ذلك بأدلة كثيرة نذكر منها دليل واحد، لأن أكثر الأدلة تدور حوله، **يقولون**: لو كانت البسملة آية من أول كل سورة لم يخلو الأمر من حالين:

إما أن يشترط القطع في إثباتها، ولا يشترط ذلك، فإن كان الأول فهذا غير صحيح لأننا خالفناكم فيه، فالبسملة لا يتوفر فيها هذا الشرط بدليل خلافنا فيها، فنحن نخالفكم في أنها آية من أول كل سورة فمعنى ذلك أنها ليست بقطعي، ونحن وإياكم اشترطنا أن لا يكون في القرآن إلا ما هو قطعي، فلا مجال إذن للخلاف ما دمنا لا نجعل من القرآن إلا ما هو قطعي فكيف نخالفكم في ذلك؟ مما يدل على أن البسملة ليست من القرآن، فلو كانت من القرآن ما خالفناكم.

وإن كان الثاني يعني أنه لا يشترط في الآيات أن تكون قطعية الوجود في القرآن أنها أي آية من القرآن قطعاً، لزمكم الأخذ بالقراءات الشاذة وإدخالها في القرآن وهذا ما لا تقولون به ولم تأخذوا بها، هذا بالنسبة لدليل القول الثاني وهو دليل إلزامي.

ويمكن مناقشته بأن نقول إنما نقول إن البسملة آية مستقلة مفردة نقطع بنزولها وأنها من القرآن بدليل كتابتها في المصاحف، ولكنها ليست بآية من كل سورة، فيوجه نفيكم على هذه الناحية ولا نخالفكم في ذلك، فيكون نفيكم على أنها من السورة فهذا نعم نحن لا نخالفكم فيه، لكنكم أنتم لا تستطيعون أن تقولوا أنها ليست آية موجودة ومكتوبة بخط القرآن فاصلة بين السورة، لا من السورة وإنما تقال في بداية السور وليست منها، فنحن لا نخالفكم فيما ذهبتم إليه من النفي أنها من السور، لكن نقول لا يلزم من كلامكم هذا أنها ليست بآية منزلة على النبي صلى الله عليه وسلم بدليل كتابتها في المصحف في هذا الموضع مما يدل على أنها منزلة.

القول الثالث وهو القول بالتفريق بين الفاتحة وغيره فيقولون البسملة آية من الفاتحة وليست بآية من غير الفاتحة، استدلوا بآثار مروية عن الصحابة كابن الزبير وأبو هريرة وغيرهما رضوان الله عليهم، والتي ورد فيها أن البسملة من الفاتحة، وقد ورد نحو ذلك مرفوعا إلى النبي صلي الله عليه وسلم أيضا ويمكن مناقشة هذا الدليل من وجهين:

الوجه الأول: أن ما رفع إلى النبي صلي الله عليه وسلم فإنه لا يصح، كما حكى ذلك غير واحد من أهل الحديث، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (فأما المأثور عن بعض الصحابة فإن منه الصحيح ومنه الضعيف -عنهم يعني- وأما المأثور عن النبي صلي الله عليه وسلم فهو ضعيف أو موضوع كما ذكر ذلك حفاظ الحديث كالدارقطني وغيره) إذاً لا يصح عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه ذكر أن بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة مطلقا، وإن كان ورد عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم وهذا ما سنجيب عليه في الوجه الثاني.

الوجه الثاني في المناقشة نقول أن ما أثر عن الصحابة رضوان الله عليهم فما كان منه ضعيف فلا يصح الاستدلال به لضعفه، وأما ما صح عن بعضهم في ذلك فعلى القول بعدم حجية قول الصحابي

فلا حجة فيه، وعلى القول بحجية قول الصحابي فإن الصحابة رضوان الله عليهم قد اختلفوا في هذه المسألة، وقد اتفق أهل العلم أن الصحابة إذا اختلفوا في مسألة من المسائل فلا يبقى قول بعضهم حجة على بعض، فإذاً لا يحتج مادام أنه حصل خلاف لا يحتج بقول بعضهم على بعض، وإنما ينظر في الأدلة.

القول الرابع وهو أنها آية في بعض القراءات وليست آية في البعض الآخر جمعاً بين الأقوال، **استدلوا** على ذلك أن في ذلك جمع بين الأقوال المتضادة بحمل أدلة القائلين بأنها من أول السورة على قراءة من قرأ بها، وحمل أدلة من نفى ذلك على قراءة من لم يقرأ بها من القراء، إذاً من قرأ بها من القراء يُحمل على أنها من السورة، ومن لم يقرأ بها من القراء فيُحمل على أنها ليست من السورة.

مناقشة هذا الدليل نقول أن البسملة حتى على قراءة من أثبتها من القراء هي آية مستقلة منفردة ليست من السورة، وأما على قراءة من لم يثبتها فعدم إثباتها يرجع إلى أنها ليست آية من السورة لا أنها ليست من القرآن.

القول الخامس الذي سبق وغلب على الظن أنه الراجح وكما سبق تفصيله أن البسملة آية من كتاب الله تعالى وهي مفردة مستقلة ليست من أي سورة من السور غير سورة النمل، التي ذكرناها نحن نتكلم عن موضع النزاع وهي أنها آية من أول كل سورة، فهي آية مستقلة مفردة موطنها هذا المكان الذي كتبت فيه، لكنها ليست بآية في بداية أي سورة من سور القرآن الكريم، استدلوا على ذلك بأدلة كثيرة، أذكر منها ستة أدلة

١- قالوا أن كتابة البسملة في المصحف برسم القرآن يدل على أنها من القرآن، وكتابتها مستقلة مفصولة عما قبلها وما بعدها يدل أنها ليست من السورة، إذاً استدلوا بحال المصحف قالوا هي مكتوبة في القرآن في مكان ليس من السورة، بل هي مستقلة مفردة ونحن نقول بذلك، وهذا من أقوى الأدلة.

٢- ما روى أهل السنن وحسنه الترمذي ما روي عن النبي ﷺ أنه قال (**إن سورة من القرآن ثلاثين آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك**) هذا نص الحديث، وجه الدلالة منه أن هذا الحديث يدل على أن البسملة ليست من سورة تبارك، وإلا بدأ بها عند ذكر السورة ولكان عدد آياتها أكثر من ثلاثين آية، عدد آيات تبارك ثلاثين من غير البسملة، فلو كانت من القرآن لبدأ بها لقال: بسم الله تبارك الذي بيده الملك، لماذا يترك بسم الله مادام أنها منها؟ ثم عدد آيات تبارك بدون البسملة ثلاثين، فلما لا يقول واحد وثلاثين؟ هذا يدل دلالة قوية على أن البسملة ليست من السورة.

٣- ما روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ أغفى إغفاءة فقال: (**لقد نزلت علي آنفاً سورة وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر**) هنا قال بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر وجه

الدلالة أن هذا الحديث يدل على أن البسملة تُقرأ في أول السورة وإن لم تكن منها، بدليل ترك قراءتها في الحديث السابق، هذا الدليل يدل على أنها تقرأ، والدليل الذي قبله يدل على أنه ليست من السورة، إذاً هي تقرأ في بداية السور وليست من السور، فمن مجموع الحديثين والدليلين يؤخذ هذا، أنها تقرأ في بداية السور وأنها ليست من السورة.

٤- ما ثبت في صحيح مسلم وسنن النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (**يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدي**) إلى آخر الحديث، **وجه الدلالة** أن البسملة لو كانت آية من الفاتحة لذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم كما ذكر غيرها من الآيات، فدل على أنها ليست من السورة.